

شرح

كشَفُ الشُّبُهَاتِ

تصنيف الإمام
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْقَمِي
ت ١٢٠٦ رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً

شرح فضيلة الشيخ
محمد ابن عبد الله المالكي

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الجواب الثاني:

وَقُلْ لَهُ أَيُّضًا: الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ، هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَاللَّاتَ
وغير ذلك؟

فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ وَالذَّبْحِ وَاللِّتْجَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَهُمْ مُقْرُونَ
أَنْهُمْ عِبِيدٌ تَحْتَ قَهْرِ اللهِ، وَأَنَّ اللهُ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، وَلَكِنْ دَعَوْهُمْ وَالتَّجَاؤُا إِلَيْهِمْ لِلجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ،
وَهَذَا ظَاهِرٌ جَدًّا.



قال الشارح وفقه الله:

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: الجواب الثاني من الأجوبة المفصلة على شبه هؤلاء المبتدعة، قال:
(وَقُلْ لَهُ أَيُّضًا: الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ) سواء كان كفار قريش أو غيرهم كالنصارى واليهود
وغيرهم من الفرس (هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَاللَّاتَ وَغَيْرَ ذَلِكَ؟)، أو أنهم كانوا يعبدون
الشیطان مباشرة؟ كانوا يعبدون الصالحين، فالملائكة صلاحهم معروف، والصالحون الذين ذكرهم الله
في القرآن كاللات والعزى ومناة، وغيرها.. وكذلك بالنسبة لللات، اللات رجل صالح كان يلت السوق
للحجيج في طريقهم إلى مكة، وكان هو في الطائف، ويجلس على طريق القوافل ويصنع لهم الطعام
السويق ويُقدمه مجاناً، فلما مات أوحى الشيطان إلى قومه أن يجعلوا له صخرة في المكان الذي كان
يجلس فيه في طريق الناس حتى تُذكرهم عمله، ثم بعد أجيال أقنع الشيطان تلك البلدة أن يعبدوه، وأنه له
شأنٌ عند الله.. وكذا.

فيقول: هؤلاء الذين قاتلهم النبي ﷺ وكفرهم القرآن ألم يكونوا يعبدون خلقاً هم أفضل من الذين
أنتم تعبدونهم الآن؟ أولئك أفضل، كانوا يعبدون الملائكة، وكانوا يعبدون الصالحين كاللات وكانوا

يعبدون الأنبياء كعيسى بن مريم وعزير وغير ذلك، فهم أفضل منكم.

لكن هؤلاء يكيلون بمكيالين لا يكيلون بمكيال واحد: العمل واحد والحكم مختلف، أولئك كانوا يعبدون صالحين وملائكة، وهؤلاء يعبدون من يزعمون أنهم صالحون، لماذا أولئك كفار وهؤلاء ليس كفار؟ النصارى كفار؟ يقولون: نعم، لماذا كفار؟ قال: لأنهم يعبدون عيسى، طيب عيسى نبي من أنبياء الله، بل من أولي العزم من الرسل، وهو كلمة الله وروح منه، وهو آية من آيات الله أنزلها في الأرض للخلق، فكيف الذي يعبد هذا عيسى يكون مُشركًا، والذي يعبد الجيلاني والبيجاني وابن شوقي والبدوي.. وهؤلاء الذين تقولون عنهم صالحين لا يكون كفارًا، بل هو المؤمن، هذا تناقض عجيب! هناك هو عين الكافر وهنا هو حق المؤمن، هذا هو المؤمن الحق، هذا شيء عجيب!

ثم قال: **(فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ)**، لأن هذا مُقَرَّرٌ في القرآن وفي كتب التاريخ والسير، ماذا كانوا يعبدون، لا يستطيع أن يُنكر ذلك، إذا قال: نعم فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء، يعني أنهم كانوا يفعلون ما تفعلونه أنتم اليوم، وتكفرونهم به، وتجعلون من أنفسكم أنتم المؤمنون حقًا، وهذا كيلٌ بمكيالين.

ثم قال: **(فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ وَالذَّبْحِ وَاللْتِجَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ)** نفس الذي تعملونه، أنتم هنا تذبحون لأهل القبور، وتدعونهم وتلتجئون إليهم، وتنذرون إليهم، وتكفرون أولئك الذين فعلوا مثل فعلكم، ولا ترون أنكم أذنبتم.

قال: **(وَإِلَّا فَهَمْ مُقْرُونَ)** يعني المشركون الذين نزل فيهم القرآن مقرون **(أَنَّهُمْ)** أي تلك المعبودات **(عَبِيدٌ تَحْتَ قَهْرِ اللَّهِ)** أي تحت قوته وقدرته وإرادته لا يعجزه منهم شيء، **(وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ)** يعني كفار قريش كانوا يعتقدون أن الذي يُدبر هو الله، ومع ذلك عبدوا تلك الأصنام التي في الصالحين، وكفروهم القرآن وقاتلهم الرسول ﷺ.

قال: **(وَلَكِنْ دَعَوْهُمْ)** هم كانوا يعتقدون أن المُدبر هو الله الخالق الرازق، ولكن لماذا عبدوهم؟ قال: **(وَلَكِنْ دَعَوْهُمْ وَالْتَجَّأُوا إِلَيْهِمْ)** لماذا؟ قال: **(لِلْجَاهِ)** لأن لهم جاهًا وجاهةً ومكانةً عند الله،

(وَالشَّفَاعَةِ) من أجل أن يشفعوا لهم عند الله (وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًّا) الذي يشفع هو الذي له جاه، حتى في الدنيا، فقالوا: إذا هم كانوا يدعون أولئك المعبودات بهذه العبادات كانوا يدعون، ويذبحون ويلتجئون، لماذا؟ قال: (للجاه والشفاعة). يعني ليستفيدوا من جاههم عند الله، وليقدموا لهم الشفاعة عند الله يشفعوا لهم عند الله.

قال: (وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًّا)، يعني مما ذكر القرآن، فالقرآن قص نأ كل المشركين، وبين سبب كفرهم، وأمر بقتالهم، وحذر من سلوك مسالكهم، ومع ذلك يأتي اليوم من يصنع مثلهم بل أسوأ، لأن أولئك كانوا يفعلون هذه الأفعال في الرخاء، وإذا جاءت الشدة دعوا الله مخلصين له الدين. وأما هؤلاء ففي زمن الشدة هم ملتجئون إلى غير الله حتى في زمن الشدة.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

الشُّبُهَةُ الْخَامِسَةُ: أن من أنكر الشرك فقد أنكر شفاعَةَ الرَّسُولِ.

فَإِنْ قَالَ: أَتَنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبَرَّأَ مِنْهَا؟

فَقُلْ: لَا أَنْكِرُهَا، وَلَا أَتَبَرَّأُ مِنْهَا، بَلْ هُوَ ﷺ الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ وَأَرْجُو شَفَاعَتَهُ، وَلَكِنْ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ؛

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وَلَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ

ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَلَا يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِأَهْلِ

التَّوْحِيدِ وَالْإِحْلَاصِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وَهُوَ لَا يَرْضَى

إِلَّا التَّوْحِيدَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥)

﴿آل عمران﴾.

فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِهِ، وَلَا يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا غَيْرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّى يَأْذَنَ

اللهُ فِيهِ، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ تَبَيَّنَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَأَنَا أَطْلُبُهَا مِنْهُ، فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي

شَفَاعَتَهُ، اللَّهُمَّ شَفِّعْنِي فِيَّ، وَأَمْثَالَ هَذَا.



قال الشارح وفقه الله:

قال رحمه الله تعالى: **(أَتُنَكِّرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)** يعني أنت الآن تُنكر علينا أن نطلب الشفاعة من هؤلاء المعبودات من الأولياء والصالحين؟ فهل أنت تُنكر شفاعَةَ الرسول؟ لا أنكر شفاعَةَ الرسول، والصالحون حقًا لا أنكر شفاعتهم، لأن النبي ﷺ أثبت شفاعَةَ الصالحين، والله ﷻ بين أن هناك شفاعات يوم القيامة، لكن هذه الشفاعة هي كلها مُلكٌ لله.

فإن قال: **(أَتُنَكِّرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَبَرَّأُ مِنْهَا؟)** يعني هم يأتون بلوازم ليست منطبقة على الأمر الذي عليه الخلاف، الخلاف كل الخلاف في سؤال الشفاعة من الأموات ولو كان نبيًا بل حتى من الأحياء، لأن الشفاعة مُلكٌ لله، الشفاعة متى؟ تكون يوم القيامة، يوم القيامة الله ﷻ يقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ يعني الكلام واضح وبين، لا يُجيبه أحد، فيُجيب نفسه سبحانه وتعالى، ويقول: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، فالله ذكر ذلك في القرآن أنه يقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وحتى في الدنيا كل المُلك لله، لكن الناس يظنون بما آتاهم الله من المال والقوة والأتباع يظنون أنهم هم الذين يفعلون كذا وكذا، وإلا فكل ذلك لله، الله الذي يملك، ولهذا قارون لما أنكر أنه من الله خسف الله به وبداره الأرض، فكما أن الرسالة مُلكٌ لله، من يستطيع أن يكون رسول إلا من أعطاه الرسالة فقط، ما يأتي أحد ثاني ويصير رسول، وكذلك الرُّسل خلا محمد ﷺ فقد كانوا جميعًا كل واحدٌ منهم يُرسل إلى قومه، فقط محمد ﷺ الذي أرسل إلى الأبيض والأحمر والأسود إلى الكل، أما غيره فُأرسل إلى طائفة محددة.

ولكن أحدًا لا يستطيع أن يحصل على الرسالة بالوراثة ولا بالرغبة، وإنما هو محض حق الله ﷻ يختار من يشاء من الصالحين، فيجعله رسولًا، هذا رسولًا يعني يُرسله بشيء، والشفاعة مثل ذلك لا بد أن تكون لله ﷻ، وهي مُلكٌ له، وهو الذي يُحدد الوجهة، ولذلك يونس عليه السلام لما دعا قومه وأبوا أن يستجيبوا له، فغضب وترك البلدة، وركب السفينة، فقدر الله ﷻ أن تفقد السفينة توازنها، ويضطر

البحار كبير قائد السفينة أن يطلب من الناس أن يبقوا واحداً منهم حتى تسيّر السفينة، فكان الدور يقع على العباس عم رسول الله ﷺ.

فهذا من تقدير الله ليس من تقدير البشر وإنما من تقدير الله وتدبيره وتصريفه.

قال: **(فَقُلْ: لَا أَنْكِرُهَا)** كيف أنكرها وهي مثبتة في القرآن والسنة، **(وَلَا أَتَبَرُّأُ مِنْهَا، بَلْ هُوَ الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ)** شافعٌ يعني ثبت له الشفاعة أنه يشفع (والمُشفَع) أي الذي إذا شفَع يُمكن كما في الحديث أنه ﷺ قال: «الناس يأتون يوم القيامة إلى آدم فيشكون له طول القيام، فيذكر خطيئته يعني ما خالف فيه أمر الله ﷻ، ويقول: لكن اتتوا نوحًا، فيأتون نوحًا، فيقول كلامًا نحو ذلك، فيقول: اتتوا إبراهيم... إلى أن يقول: اتتوا محمدًا ﷺ فيأتونه فيقول: نعم، «أنا لها» ويخر تحت العرش ساجدًا ويفتح الله عليه من العلم، ويقول للرب ﷻ، أو يقول له من شاء الله ﷻ من الملائكة: «يا محمد، ارفع رأسك وسل تعطه، واشفع تُشفع». فعندئذ يُبدأ بالنقاش يبدأ بالحساب.

وهذا مُقرر ومعروف في الشريعة وأحاديثه صحيح، قال: **(وَلَكِنْ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ)** كما أن الرسالة لله يوجهها كما شاء ومتى شاء، وإلى مَنْ شاء، كذلك الشفاعة يوم القيامة، فالله ﷻ يُفوق أناس حتى يكتسبوا حسنات، فيلتصقوا بأهل الصلاح والتقوى، لذلك قال: **(وَلَكِنْ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ)** أي مُلكٌ له، فما دام هو الذي يملكها كيف تستمنحها من غيره؟ هذا من أعجب العجب، يعني هي في مُلك فلان وهي مُلكٌ له، ثم أنت تسألها من غيره، فكيف هذا الغير يستطيع أن يعطيك شيئًا لا يملكه، وكما قيل: (فاقد الشيء لا يُعطيه).

قال: **(وَلَكِنْ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ)** معنى هذا: يعني هي مُلكٌ لله من مُلك الله، فبالتالي: لا تُنال إلا برضا الله، وإلا بالاستئذان من الله ﷻ.

أيضًا **(كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾)** اللام للملكية **(﴿الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٤])** أي ما ينقص منها حرف، كل الشفاعات هي ملكٌ لله.

ثم قال: **(وَلَا تَكُونُ)** يعني تلك الشفاعة لا تحدث **(إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي**

يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿البقرة: ٢٥٥﴾، فما دام أن الشفاعة لله، فلن يشفع أحد إلا بإذن الله، لا يستطيع أحد أن يبدأ الشفاعة إلا بعد أن يأذن الله ﷻ له، ولذلك يخبر النبي ﷺ ساجداً تحت العرش يحمد الله ﷻ بمحامد لم يكن يعرفها من قبل حتى يرضى ربنا ﷻ، ثم يأذن ويقول: يا محمد، ارفع رأسك وسل تعطه، واشفع تُشفع، فيبدأ بالحساب.

والشفعاء كثر، وقد وردت فيهم أحاديث كثيرة، فيشفعون فقط لمن كان مرضياً عند الله، ومن هو المرضي ومن هو غير المرضي؟ هل غير المرضي، هل غير المرضي هو الذي يرتكب الفسق؟ نعم هو غير مرضي عنه، لكن ليس كلياً عندنا رضا كلي ورضا جزئي، أما الرضا الكلي فهو الذي يقبل الله ﷻ شفاعة الشافعين في صاحبه، كما قال الله ﷻ: **﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾** [الأنبياء: ٢٨] اللام نافية يعني ينفي الله ﷻ عنهم أنهم يشفعون (إلا) وهذا استثناء... **﴿إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾** [الأنبياء: ٢٨] أي للشخص الذي ارتضى، يعني الذي ارتضاه الله ﷻ وكيف يرتضيه؟ إذا كان موحدًا، لأن الله ﷻ في القرآن قرر بأنه لا يُحرم من الجنة إلا من كان مُشركًا من فرط في التوحيد.

فمن أتى بالتوحيد ولو أتى بآثام وذنوب فهو موحد، وهو مرضي عند الله، لكن ينال جزاء مخالفاته، لذلك قال الله ﷻ: **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [آل عمران] لن يُقبل منه أيًا كان هذا الدين سواءً ذبح أو نذر دعاء، فإنه لا يُقبل عند الله ﷻ، ولا يُقبل صاحبه الذي يُراد له الشفاعة، لأن هذا الفاعل نفسه غير مرضي عند الله، فكيف بالذي خالط هذه الأعمال؟! فضلاً عن أن كثيراً ممن يزعمون أنهم من الصالحين الذين يشفعون إنما حالهم لا يُنبئ بأنهم من الشفعاء، تجدهم كثيرين فسق وغير ذلك، بل يقيناً يكونون على الشرك، لذلك لا يرتضيه الله.

ولهذا قال: **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾** [آل عمران].

ثم قال: **﴿فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِهِ﴾**، هذان أمران جليان الشفاعة لله، ولا

تكون إلا من بعد إذن الله.

(وَلَا يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا غَيْرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ) أي في ذلك الشخص بالشفاعة، (وَلَا يَأْذَنُ

إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ) يعني المُبْعِدِينَ بِأَنْفُسِهِمْ عَنِ الشَّرْكِ.

ثم قال: (تَبَيَّنَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ، وَأَنَا أَطْلُبُهَا مِنْهُ) أي من الله، كيف يكون هو الذي يملك، ثم أنت

تطلبها من غير المالك، لن تحصل على شيء، إن طلبت الشيء من غير مالكة فلن تحصل عليه، قال: (

فَقُلْ: اللَّهُمَّ) يعني يقول لك أنت حتى تلقن ذلك المُشْرِك، قل له: يقول: (اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي شَفَاعَتَهُ) أي

شفاعة الرسول ﷺ، (تَسْأَلُ اللَّهَ أَلَا يَحْرِمُكَ شَفَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ، (اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ) تسأل الله أن يُشْفِعَهُ فِيكَ

(وَأَمْثَالَ هَذَا).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين